العرب
الخميس 2021/04/29
السنة 43 العدد 12045

هل يميل ميزان القوى في الشرق الأوسط إلى ناحية الشرق؟

تعميق علاقات الصين مع دول المنطقة خارج نطاق التجارة مهم استراتيجيا لملء الفراغ الأميركي

يستدعي إدراك الاستراتيجية الصينية في الشرق الأوسط، والتي اتضحت معالمها طيلة السنوات الماضية تحديد الأهداف من ناحية، والمحددات من ناحية أخرى، لفهم طبيعة إصرار بكين على التغلغل في المنطقة، فنظريا ما يهمها بالأساس هو الدافع الاقتصادي بدل الخوض في السياسة والصراعات التي لن تعود عليها بالنفع، لكن البعد الاستراتيجي هو الحاضر في أجندتها التي تستهدف تحجيم دور الولايات المتحدة.

واشنطن – يشير التقييم الصيني العام للسياسات الأميركية في الشرق الأوسط إلى أنها سياسة مآلها الفشل، حيث ترى بكين أن الولايات المتحدة لديها إحساس سيكولوجي مبالغ فيه بالقوة لفرض هيمنتها في المنطقة، وأن الإمكانيات الأميركية هي أقل من هذا الإحساس.

ومن هنا يسعى الصينيون إلى استغلال هذه النقطة لصالحهم وربما تهيمن بكين على المنطقة –على الرغم من أن الأمر قد يبدو مستبعدا في الراهن– إذا نجحت استراتيجيتها خاصة مع وجود أرضية لذلك.

جوديث بيرغمان

الصين تسعى بنشاط لتوسيع نفوذها العسكري والدبلوماسي

موردخاي شازيز

مبادرة الحزام مدخل لإسقاط الهيمنة الأميركية في المنطقة

ويبدو تعزيز التعاون مع دول المنطقة مدخلا لتنفيذ أجندتها عبر تنويع الشراكات في كافة المجالات وعدم الاكتفاء بالتجارة، وبالنسبة إلى الصين فإنه لطالما بقيت السياسة البراغماتية الساعية لضمان استقرار تجارة النفط في الشرق الأوسط هي السائدة، فإنها ستعمل على النأي بنفسها عن الانغماس في الصراعات الداخلية لدول الشرق الأوسط.

معركة كسر عظام

منذ وصول إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن إلى البيت الأبيض، والحديث عن الصين يتردد في الكثير من تصريحات المسؤولين، وهو ما يمثل استمرارا لسياسة الإدارة السابقة التي فتحت جبهة صريحة للحرب الاقتصادية مع بكين، في ما اعتبره البعض معركة كسر عظام بين القوتين الأكبر في العالم.

وفي ظل تلك المنافسة الشديدة تضغط كل قوة لفرض نفوذها على جبهات عدة لتحصيل أكبر قدر من النقاط، ويتجلى ذلك في منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص، حيث تريد الصين الآن لعب دور أكبر في المنطقة، ويبدو دورها على الأرض مختلفا عن أدوار الدول الأخرى وخاصة الولايات المتحدة وذلك من خلال بوابة التعاون الاستراتيجي في كافة المجالات.

وترى المحللة السياسية جوديث بيرغمان في تقرير نشره معهد جيتستون الأميركي أنه بعد جولة وزير الخارجية الصيني وانغ يي الأخيرة في الشرق الأوسط، التي استمرت أسبوعا تقريبا، ليس هناك مجال للشك في أن الصين تسعى بنشاط إلى توسيع نفوذها في المنطقة.

وبالنسبة لبريغمان فإن الأمر لا يتعلق بالاقتصاد وحسب، ولكن أيضا بالمجالات العسكرية والدبلوماسية والسياسية، متحدية بشدة الدور الطويل الأمد للولايات المتحدة كقوة مهيمنة في المنطقة.

ويتزايد نفوذ الصين في الشرق الأوسط منذ سنوات، لاسيما من خلال مبادرة "الحزام والطريق"، وهي مشروع عالمي ضخم للبنية التحتية والتنمية الاقتصادية أطلقه الرئيس الصيني شي جين بينغ في عام 2013 ومن الواضح أن هدفها هو بناء شبكة اقتصادية وهياكل أساسية تربط آسيا بأوروبا وأفريقيا وما وراء ذلك.

وتسعى هذه المبادرة الضخمة للتنمية والاستثمار بشكل كبير إلى تعزيز النفوذ العالمي للصين من شرق آسيا إلى أوروبا من خلال جعل الدول في جميع أنحاء العالم تعتمد بشكل متزايد على الصين.

ويقول موردخاي شازيز، مؤلف كتاب "دبلوماسية الصين في الشرق الأوسط: الشراكة الاستراتيجية للحزام والطريق" إنه "من الناحية الاستراتيجية، تكشف مبادرة الحزام والطريق كيف تسعى الصين إلى إسقاط الهيمنة الغربية الأميركية في منطقة الشرق الأوسط سلميا".

ويشير أيضا إلى أن العلاقة بين مبادرة الحزام والطريق والشراكات الاستراتيجية التي توجدها في المنطقة تسمح لها بالسيطرة تدريجيا على المنطقة دون خلق توترات مع الولايات المتحدة أو الغرب. وبعبارة أخرى، فإن المبادرة هي خطة صينية متطورة لنقل الهيمنة من الغرب والولايات المتحدة إلى الصين دون حرب أو صراع.

وكانت قناة العربية السعودية قد نقلت عن وانغ خلال زيارته إلى السعودية، إحدى الدول الست التي زارها في جولته، بالإضافة إلى سلطنة عمان والبحرين والإمارات وتركيا وإيران قوله "لقد وقعت الصين وثائق بشأن التعاون ضمن الحزام والطريق مع 19 دولة في الشرق الأوسط، وحققت تعاونا مميزا مع كل منها".

وأضاف "وفي الوقت الذي تعزز فيه الصين نموذجا جديدا للتنمية، فإنها مستعدة لتقاسم الفرص السوقية مع دول الشرق الأوسط، والعمل مع الدول العربية للتحضير بنشاط لقمة الدول العربية مع الصين، وتعزيز التعاون عالي الجودة (ضمن مبادرة) الحزام والطريق، وتوسيع مجالات جديدة للنمو مثل التكنولوجيات العالية والجديدة".

والصين هي بالفعل أكبر شريك تجاري لمعظم دول المنطقة، بما في ذلك بعض شركائها الرئيسيين: السعودية وإيران والإمارات. وكانت السعودية أكبر مورد للنفط الخام للصين في عام 2020، متغلبة على روسيا.

نظرة أبعد إلى مستقبل المنطقة

وقد قامت الصين "بشراكات استراتيجية شاملة" مع كل من السعودية والإمارات، وكذلك إيران الآن، من خلال توقيع اتفاقية استراتيجية شاملة لمدة 25 عاما حول التعاون الاقتصادي والأمني مع طهران. وتردد أيضا أن الاتفاق يشمل توسيع نطاق المساعدة العسكرية والتدريب وتبادل المعلومات الاستخبارية.

ومن خلال مبادرة الحزام والطريق، تعد الصين أيضا أكبر مستثمر أجنبي في المنطقة، حيث تبني بنية تحتية تصل قيمتها إلى مليارات الدولارات. وعلى الرغم من أن مصر لم تكن جزءا من خط سير سفر وانغ، إلا أنها تشكل أيضا جزءا مهما من مبادرة الحزام والطريق للصين، بحسب بيرغمان.

ووفقا لجون ألترمان المحلل في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فإنه "في السنوات الخمس الماضية، ومع تزايد اهتمام الصين بالعبور عبر قناة السويس، استثمرت الصين مليارات الدولارات في مصر".

وتساعد الشركات الصينية في بناء العاصمة الإدارية الجديدة في الصحراء خارج القاهرة، وتقوم بتطوير ميناء على البحر الأحمر ومنطقة صناعية في العين السخنة. وقد قام الرئيس عبدالفتاح السيسي بست رحلات على الأقل إلى بكين منذ توليه منصبه في عام 2014، مقارنة برحلتين فقط إلى واشنطن.

دور حاسم للمنطقة

مع تنافس الصين على المزيد من النفوذ الدولي في مناطق مختلفة من العالم لتصبح أكبر قوة في العالم بحلول عام 2049، عسكريا واقتصاديا وتكنولوجيا وسياسيا، فمن المرجح أن يصبح الشرق الأوسط حاسما، سواء أعطته الولايات المتحدة الأولوية أم لا.

وتقول بيرغمان إنه للوهلة الأولى، قد ينظر بعض القادة في الشرق الأوسط إلى الصين باعتبارها مناسبة تماما للهيمنة على منطقتهم، التي تتألف، إلى جانب إسرائيل، من دول تشارك الصين وجهات نظرها بشأن سيادة الدول وعدم التدخل وحقوق الإنسان.

ويمكن قراءة ما بين السطور في تلخيص وزير الخارجية الصيني لرحلته عندما قال إن "الصين والدول اتفقت على ضرورة احترام الاستقلال السيادي والكرامة الوطنية لجميع الدول، وتعزيز سبل التنمية المستقلة والمتنوعة".

ونقلت وكالة أنباء الصين الجديدة الرسمية (شينخوا) عن وانغ قوله إنه تم الاتفاق مع حكومات الدول الست التي زارها على "معارضة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى والافتراء على الدول تحت ستار حقوق الإنسان وحماية النظام الدولي لتكون الأمم المتحدة جوهر النظام الدولي القائم على القانون الدولي والتعددية والإنصاف والعدالة الدوليين".

وفي ضوء ذلك، فإن تعميق علاقات الصين مع دول الشرق الأوسط خارج نطاق التجارة لابد وأن يقلق الولايات المتحدة، خاصة وأن إدارة بايدن اتخذت مؤخرا خطوات لتقليل الاهتمام بالمنطقة، وبالتالي فتح الباب أمام الهيمنة الصينية.

وقال مسؤول كبير سابق في الأمن القومي ومستشار مقرب من بايدن لصحيفة "بوليتيكو" في وقت سابق إنه "إذا كنت ستصنف المناطق التي يعتبرها بايدن أولوية، فإن الشرق الأوسط ليس ضمن المراكز الثلاثة الأولى". وأضاف "إنها منطقة آسيا والمحيط الهادئ، ثم أوروبا، ثم نصف الكرة الغربي. وهذا يعكس إجماعا بين الحزبين على أن القضايا التي تتطلب اهتمامنا قد تغيرت مع عودة المنافسة بين القوى العظمى (مع الصين وروسيا)".

«البلماضية».. فشل سلطة وتطلعات شعب

صابر بليدي
صحافي جزائري

أمام فشل كل الخيارات للخروج من المأزق الذي تتخبط فيه البلاد، خاصة خلال السنوات الأخيرة، صار كادر رياضي نموذجا بسيطا للنمط الذي يريده الجزائريون، وعيّنة يطمح لها هؤلاء، لأن تكون في المؤسسات ومفاصل الدولة، لأن الأزمة في نظرهم لا هي سياسية ولا اقتصادية ولا اجتماعية، وإنما أزمة رجال لم يجدوا طريقهم إلى مواقعهم الحقيقية.

لقد عمّت الرداءة والفشل مؤسسات الدولة ومفاصلها، وتحول نجاح جمال بلماضي، في قيادة المنتخب الكروي إلى واجهة اللعبة قاريا وعالميا، وتحقيق حلم عجز عنه الآخرون منذ الاستقلال، إلى تجربة يريد الجزائريون أن تكون دليلا على إنزال المسؤوليات وقيادة المؤسسات إلى من يستحقها من الكفاءات الوطنية، وعندها تكون النتائج ملموسة وفي أسرع الأوقات.

وإذا اختلف الجزائريون على كل شيء، فإن إجماعهم الوحيد منذ العام 2019، لم يتحقق إلا على جمال بلماضي، وكتيبته من الشباب الذين افتكوا الكأس الأفريقية الثانية لبلادهم، من قلب أرض الفراعنة، وما أدرك ما مصر، نظرا للحساسية الكروية المعروفة بين البلدين منذ عقود.

وهو ما يردده الكثير في الشوارع والساحات بالقول "نريد بلماضي، في المرادية، في الحكومة، في مناصب المسؤولية. في كل مكان من ربوع البلاد ومؤسساتها"، لقناعة ترسخت لدى هؤلاء، أن البلاد لن تخرج من أزمتها إلا إذا مسك مأموريتها أمثال بلماضي.

لقد تحول الشاب المغترب، إلى تجربة يراد أن يستلهم منها في تحقيق النهضة المنشودة، وضبط الإيقاع وفرض الصرامة، وبث روح العمل والتعاون والتكامل بين عناصر المؤسسة الواحدة، ولعل أبرز سر في نجاح الرجل، هو تطبيق منهاج العدالة وتكافؤ الفرص ومعيار الجاهزية والأداء، وغلق الهاتف في وجه الوساطات والتدخلات الخارجية.

"البلماضية" هي اشتقاق من اسم بلماضي، لم تعد مجرد نجاح مدرب وطني وفق في قيادة منتخب بلاده إلى العالمية والتتويج، بل صارت تجربة يراد أن تطبق في مختلف المجالات والقطاعات والمؤسسات، فلقد سئم الجميع من تراكم الفشل والرداءة والفساد.

ظروف انتخاب الهيئة المسيرة (الاتحاد)، أعادت سيناريو الصراع الأزلي في الجزائر بين الحرس القديم، وبين الكفاءات الشابة التي تقاوم من أجل افتكاك مواقعها في المشهد، ففي ظل الترويج لخطاب التغيير من طرف السلطة، يتم استنساخ الأساليب الرديئة في إبقاء دار لقمان على حالها، بفبركة انتخاب هيئة جديدة بدعوى لم الشمل وتوحيد الصفوف على حساب لعبة الديمقراطية والانتخابات الشفافة والنزيهة، وفوق ذلك محاولة استغلال إنجازات الرجل في لعبة قذرة.

القبضة الحديدية بين الرداءة والكفاءات الخلاقة في هذا القطاع، يمكن مطابقتها على مختلف القطاعات والمؤسسات في البلاد، وإذا كانت شخصية بلماضي المميزة، قد تجرأت على دعوة السلطة إلى الاستماع لنبض الشارع ومطالبه، فإن ما يجري في هيئة الاتحاد، يجري في الأحزاب والجمعيات والمنظمات والوزارات والمحافظات والبلديات، لأن المنتفعين والانتهازيين هم الذين يتصدرون المشهد، وتبقى خطب التغيير الأجوف هي الغذاء الوهمي الذي يسوّق للجزائريين.

صحيح كرة القدم، هي واحدة من الملاذات التي تلجأ إليها الأجيال التي تنمو في أجواء القمع والتخلف، إلى جانب الغذاء والدين، وتجلى ذلك في توظيفها من أجل تحقيق السلم الاجتماعي، وتخدير الشباب بأوهام النصر، فإن الذي لم تنتبه له السلطة، أن بلماضي، بات أكثر من كادر رياضي قد ينجح أو يفشل، بل هو نموذج وتجربة يحتذى بها ويمكن إسقاطها على كل القطاعات والمؤسسات.

فقد وعد جمهوره بجلب الكأس الأفريقية من القاهرة، شهورا قليلة بعد تعيينه، وحامت حوله آنذاك لمزات بشأن النرجسية والجنون، لكن العبرة في النتائج الملموسة، وكان بالإمكان إيجاد بلماضي آخر في رئاسة الدولة والحكومة والمحافظات والبلديات والشركات، لتحقيق ما حققه الرجل بمخطط واضح وأجندة زمنية دقيقة.

مرّ أكثر من عام على انتخاب عبدالمجيد تبون، وتعيين الوزراء وتغيير كوادر المؤسسات، ولم تقدم للجزائريين حصيلة عمل هؤلاء ولا مخططهم، وتفجرت الاحتجاجات السياسية ولم تتوقف منذ عامين، وفوق ذلك تجرع الجزائريون الكذب والتلاعب والوعود الزائفة، ولا أحد يدري إلى أين تتجه البلاد عدا عن احتمال واحد هو الهرولة نحو الحائط.

نعم فشل الجميع، والفشل والرداءة هما عنوان عقود كاملة، ولم ينجح إلا جمال بلماضي، في ذروة الأزمة وعدم الاستقرار والأفق الغامض، وبات للجزائريين الحق، في استنساخ "البلماضية" في كل المجالات والمؤسسات، فالبلاد في أمسّ الحاجة لسر هذه التجربة لتعميمها بداية من رئاسة الجمهورية إلى أبسط مؤسسة في البلاد.

فالجزائر التي جربت مختلف الخيارات والسياسات، وحتى العمر الطبيعي للشرعية لم يحسم التداول لصالح الأجيال الشابة والكفاءات المبدعة، أضاعت وقتا طويلا انتهى بها إلى الحائط في آخر المطاف، وتحت أي مسمى فإن المأمورية يجب أن تنتقل إلى شبابها وأدمغتها، وما عدا ذلك كله ذر للرماد في العيون.

البلماضية هي اشتقاق من اسم بلماضي ولم تعد مجرد نجاح مدرب وطني وُفق في قيادة منتخب بلاده لكرة القدم إلى العالمية والتتويج، بل صارت تجربة يراد أن تطبق في مختلف المجالات والقطاعات والمؤسسات، فلقد سئم الجزائريون من تراكم الفشل والرداءة والفساد